هذا الجسر... وتلك الخيمة والنخلة

عامر بو عزة

١

في قلبٍ واحِدْ
تتراقص كلّ الأنْهَارِ عَلى إيقاعٍ
واحِدْ:
النيلُ / الفُوْلغا
الميسيسيبي/ بَرَدَى...
تتقافزُ حوريّاتُ الماء
يتخاطفن الصيادين
وباعة أكواب الكوكا كولا
والأطفال
(فوق الماءْ
تطفو سنوات التيهْ
أَنَاشيد البدْوِ المحمولين
على نَعْشِ الصَّحْرَاء)

٢

قال الشاعر:
«هذا صوتي مثقوباً برصاصاتٍ
خمسْ
هذا نَايِي
تلك امرأتي وخيامي
لَكُمُ الأنهارُ وحوريّات الماءْ
لَكُمُ الحفلُ
ولي هذا النايُ
وتلك المرْأَهْ
وخيَامُ البدْوْ»

٣

كان الشاعر منفيّاً في قَلْبِ المحارَهْ
لكنْ كَانَ يُرَى
حيناً مثل القدِّيسِينَ
وأحْيَاناً أُخْرى كالفُقَرَاءْ
في سلّتِهِ قِطْعَةُ خُبْزٍ
وأصَابِعُ نَايْ
وبَقَايَا مِنْ نَارِ الأَمْسْ
كَانَ يَقُولُ:
«خُلاَصَةُ روُحِي أُهْديها للمحارَه
قَلْبِي أهْديهِ للأطْفَالِ وللأنْهَارْ».

٤

حين تكَدَّسَتِ الأنْهَارُ
وكَانَ الشَّاعِرُ يَحْمِلُ صَوتاً مثقوبَا
اجْتَاحَ المَاءُ ثُقُوبَ الصَّوْتِ الشَّاعر
فاضَتْ كَلِمَاتُ النايْ
فَأضاءَتْ لَيْلَ الصَّحْراءْ

٥

من أطلق خمس رصاصات في
صوت البدويّ التائه؟
من قاد الأنهار إلى هذا القلب
الجَبَلِيِّ؟
من أطفَأَ فَانُوس الشارع بالطُّوبِ؟
ومن خَطفَ الأَطْفَالَ وهم يَلْهُونَ
أمام البيت العَرَبيِّ؟
من علّم حوريّات الماء
أصول العشق
وإيقاعات السَّامْبَا...
.....مَنْ؟

٦

هذا حفلٌ
يتنكَّرُ فيه المَاءْ
وتُوَزَّع فيه الصَّحْرَاءْ
ويُصَادَرُ قَلْبُ الشَّاعِرْ

٧

لاَ تَرْكَعْ
إلاَّ فِي شَيْئَيْنْ:
أن تَقْطِفَ زَهْرَهْ

أَوْ أنْ تَشْرَبَ مِنْ مَاءِ العَيْنْ[1]

٨

عَبَرَ الأطْفَالُ الجِسْرَ -كما
أوصيناهم -
لمْ يَجِدوا الضَفَّهْ
ظلّوا يَمْشُونَ إلى أنْ طلعت
حوريّاتُ الماء

٩

الحوريات خطفن الصيادين
خطفن الأطفال
خطفن الشمس وإكليل الغَارِ
ونارَ البدو وتفاحَ الجنّهْ
والأنهارْ
فَذَاب العالم بين أصابعهن
وذاب الشاعر في مَنْفَاهْ

١٠

بَرَدَى يحتاج دمشق ليأكل من تفاحِ
الجَنَّهْ
الفولغا يحتاج أصابعَ لينينْ
النِّيل يسير إلى الدلتا معصوبَ
العَيْنَيْنْ
الميسيسيبي لا وقتَ لَدَيْهْ
للأطْفَالِ
وَلِلْبَدَوِيّ
وَلِلْحُورِيَّاتْ

١١

كَانَ الشاعر منفيّاً في قلب المحارَهْ
يَمْلأُ سَلَّتَهُ بِبَقَايَا خُبزِ الأمْسْ
ونَارِ البَدْوِ
وأحلامِ النايْ
كان يعدّ فصولَ العَامِ
ليهْبِطَ من ملكوتِ الغَيْمِ إلى
الصَّحْرَاءْ
«أنْتِ امرأتِي
ولعل السَّاعِي أَخْطَأَ عُنْوَانَ الخَيْمَهْ
حِينَ بعثت إليْكِ خلاصةَ روْحي في
صورٍ تِذْكَارِيَّهْ
ثَقَبُوا صوتي
الآن أُطِلُّ عليك من الثقبِ الخَامِسِ
كَيْ أصْغِي لِنَشيدِكِ عندَ الفَجْرْ
وَأَشُمَّ الحِنَّاءْ».

١٢

حِينَ يَعُودُ مَسَاءً
لَنْ يَجِدَ الشَّارِعَ في الشَّارِعِ
لَنْ يَجِدَ الفانوسَ مُضَاءً
لنَ يَجِدَ الأطْفَالَ
فَقَطْ...
ثَوْباً مِنْ أَعْلَى الشُرْفَةِ يَقْطُرُ مَاءً
وَبَقَايَا ترْجِيعَاتِ النَّخْلْ

١٣

لا أُخْطِئُ عُنْوانَ الغَيْمَةِ..
قال الشاعر: «هذا صوتي لا يطلع
منه الصوتُ
وهذا الجسر متى يُفْضِي بالأطْفَالِ
إلَى المَعْنى».

١٤

الشاعِرُ ذو القلبِ الجَبَلِيِّ والصوتِ
المَثْقُوبْ
الأطْفَالُ /الكُوكَا كولا...
الباعَةُ والصيَّادُون
الحوريّات المفتونات/امْرَأَةُ النَّاي/
الأنْهارْ
قلبُ المحارَةِ/ وَالصَّحْرَاء/ إكْلِيلُ
الغَارْ
البَدْوُ المَوْعُودُون بِتُفَّاحِ الجَنَّه..
يرتفعون إلى الثقب الخامس من
صوت الشاعر
كي يصغوا لرنينِ المَاءْ
في البَصْرَهْ

١٥

هَذَا الجِسْرُ
وَتِلْكَ الخَيْمَةُ والنَّخْلَهْ
فَلْنَرْكَعْ
كَيْ نَشْرَبَ مِنْ هذَا النَّهْرْ
وَنَقْطُفَ زَهْرَهْ

تونس

(١) رسول حمزاتوف